الخلاف ومفاسده عند الإمام المقبَليّ (ت: 1108هـ)

شعيب محمد علي عتيق[1]، فيزوري بن عبد اللطيف[2] ، علي علي جبيلي ساجد[3]

الملخّص

يتناول هذا البحث الإمام صالح بن المهدي المقبَليّ (ت: 1108هـ) ومنهجه في تناول مفاسد الخلاف واضراره على المسلمين، والإمام المقبلي عالم من علماء الأمة الإسلامية، ومن كبار أئمة اليمن المجتهدين وممن تمسكوا بالحق، ونبذوا التقليد، وتحلوا بروح الإنصاف، وكان من زعماء حركة الإصلاح والتجديد في المجتمع اليمني الذين خدموا العلم بمؤلفاتهم المختلفة في الأصول، والأحكام ومختلف العلوم الإسلامية، وأسهموا في تجديد الفكر الإسلامي وإزالة ما علق به من شوائب الغلو والتقصير والجمود والتعصب. وتأتي أهمية هذا البحث بالكشف عن مفاسد الخلاف وأضراره عند الإمام المقبَليّ ومنهجه في تناولها، ويهدف البحث إلى التعرف على الإمام المقبلي، ومساهمته في إظهار مفاسد الخلاف التي كان لها الضرر الكبير في تفرق المسلمين وتنازعهم. وقد اقتضت طبيعة البحث إتباع المنهج الاستقرائي. والبحث في مقدمة وثلاثة مباحث، المبحث الأول: نبذه مختصرة عن الإمام المقبلي، والمبحث الثاني مفهوم الخلاف والمفاسد، والمبحث الثالث: مفاسد الخلاف عند الإمام المقبلي، ثم الخاتمة التي تلخص نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: الإمام المقبلي، الخلاف، مفاسد.

[1] طالب دكتوراه في قسم العقيدة والفكر الإسلامي، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا (ماليزيا) . atieqyem@gamil.com

[2] الأستاذ في قسم العقيدة والفكر الإسلامي، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا (ماليزيا) . fa72@um.edu.my

[3] الأستاذ في قسم العقيدة والفكر الإسلامي، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا (ماليزيا) saged@um.edu.my

The Dispute and Its disadvantages according to Imam Salih Al-Maqbili (D.1108h)

& Ali Ali Gobaili Saged Shaaib Mohammed Ali Ateik, Faizuri Bin Abd Latif

Abstract

This research aims to study the life of Imam Salih bin Al Mahdi Al Muqbali (D.1108H) who is considered a scholar among the great Muslims scholars, and among the great mujtahids imams of Yemen and among those who sticks to the truth, renounced imitation, and apply justice. He was one of the leaders of the reforming and renewing movement in the yemeni society, the leaders who sereved the religion with their various books in Isalmic creed and, rulings and different Islamic sciences, He contributed to the renewal of the Islamic thought and the removal of the fanatisim and extremisim, He made a sincere efforts in order to overcome the causes of dispute, division and disruption in the Islamic society. The importance of this research comes to reveal the disadvantages of the dispute and its negative impact according to the imam Al-Muqbali and his approach to deal with it. The nature of the research required an inductive method. The research has an introduction and three chapters, the first chapter: a brief summary about the imam, the second chapter: the concept of dispute and its disadvantages, the third chapter: the disadvantages of the dispute according to the imam, then the conclusion which summarizes the research results.

KeyWords: Imam Al Mahdi, disadvantages, Dispute.

المقدمة:

الحمد لله على إنعامه، والشكر له على إحسانه، إن من أجلِّ نعمه تعالى علينا نعمة الإسلام، فالحمد لله الذي جعلنا من اتباع الدين الذي ارتضاه لعباده، قال تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...﴾ [المائدة: 3]، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ...﴾ [آل عمران: 19]، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه وأزواجه، وعلى المتبعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

لقد أمرنا ديننا الحنيف بالائتلاف والاتحاد، والتعاون والتماسك، ونبذ الخلاف والفُرقة، والابتعاد عن التخاصم والتناحر والتطاحن، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم﴾ [آل عمران: 102-105]، خاطب الله تعالى عباده المؤمنين بلزوم التقوى، والاعتصام والتمسك بدينهِ، والحذر من التفرُّق عن الحق، وذلك بوقوع الخلاف بينهم والشقاق، وذكرَهُم سبحانه وتعالى بما مَن عليهم من نعمة المحبة والألفة والاجتماع والأخوة في الله. وقال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم ثلاثاً قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[3].

ولقد فُتحت أبواب الفتن على المسلمين منذ عهد الصحابة ﷺ، واستغل أعداء الدين هذه الفتن في إثارة الشبهات والخلافات بين المسلمين، وهذه سنة الله في خلقه. وكان دور العلماء بارزاً في مواجهة كل ما يفرق الجماعة، وذلك بدعوة الناس وتحذيرهم من خطورة التفرُق والاختلاف، وتناولِ أسباب الخلاف ومفاسده التي سببت إضعاف المسلمين في مواجهة أعدائهم.

ولقد كان لعلماء الإسلام قديماً وحديثاً وفي كل عصر ومصر جهود في دعوة الناس وحثهم على التمسك بالكتاب والسُّنة، وعقيدة السلف، وكان هذا التوجه منهم امتثالاً لما ورد في القرآن الكريم من الأمر بالاعتصام بحبل الله، أو التحاكم إلى الله ورسوله عند حدوث الخلاف، فقاموا بتفسير الآيات التي تحث على ذلك، والأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت بهذا الخصوص، ونبهوا على ذلك، وأوصوا به

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، حديث رقم (1715)، ج3، ص1340.

في مؤلفاتهم وخطبهم ونصائحهم. ومن هؤلاء العلماء الذين تناولوا مفاسد الخلاف وبينوا ضرره، وحذروا من خطورته الإمام صالح المقبلي، وهو من علماء اليمن في القرن الحادي عشر الهجري المتوفى سنة (1108هـ). ويعد من العلماء المجتهدين في اليمن بعد الإمام ابن الوزير (ت: 840هـ) وقبل الإمام الأمير الصنعاني (ت: 1182هـ)، والإمام الشوكاني (ت: 1250هـ).

إشكالية البحث:

الإمام المقبلي من العلماء المجتهدين والذي كان له أثر في عصره، وما بعد عصره، وعُدَّ ممن بلغ رتبة الاجتهاد، وقد تشكلت حياته في بيئتين مختلفتين عقدياً ومذهبياً، الأولى بصنعاء بيئة زيدية معتزلة، والأخرى بمكة شافعية أشعرية صوفية، ومن خلال اطلاع الباحث على كتب الإمام المقبلي وما أودعها من مواقف تُندد بالتفرق والاختلاف، وتُبيِّن دور هذا التفرق في تشتت المسلمين وعدم وحدتهم، وما لحق جراء هذا التفرق من مفاسد وأضرار. ولا يزال هذا المرض (الخلاف والفرقة) يصيب الأمة المسلمة، إذ لم يسلم منه مجتمع من مجتمعاتها، ومن المهم الاستفادة مما طرحه الإمام المقبلي في هذا الموضوع الذي سعى في معالجته، وهو التحذير من مغبة الخلاف والفرقة في الدين، وما يعقبها من مفاسد وأضرار على الأمة المسلمة، وخاصة أنه عايش ذلك واقعياً في حياته.

أسئلة البحث:

1- مَن هو الإمام المقبلي؟
2- ما هي أسباب الخلاف ومفاسده التي تناولها الإمام المقبلي؟
3- ما هو المنهج الذي نصح به الإمام المقبلي ودعا إليه عند الاختلاف؟

أهداف الدراسة:

يسعى هذه البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

1) التعرف على الإمام المقبلي وحياته العلمية.
2) إظهار جهود الإمام المقبلي في بيان أسباب الخلاف ومفاسد الخلاف.
3) معرفة المنهج الصحيح الذي دعا إليه الإمام المقبلي في الابتعاد عن التفرق والاختلاف.

منهج البحث:

اتبع الباحث في هذا البحث المنهج الاستقرائي، وذلك بقراءة وتتبع أقوال وأفكار الإمام المقبلي في كتبه، وأيضاً منهج الوصفي التحليلي للنصوص والآثار المختصة بالموضوع من أقوال السلف، وعلماء المسلمين.

الدراسات السابقة:

الدرسات في موضوع الخلاف عديدة، وأيضاً الدراسات التي تناولت الإمام المقبلي متنوعة ما بين دراسات عن حياته الشخصية وبعض الجوانب الفكرية والإصلاحية لديه، ودراسات عن آراءه في مسائل العقيدة وعلم الكلام، ودراسات عن فقهه واستدلالته وترجيحاته الفقهية والأصولية، وغيرها، نذكر بعض من هذه الدراسات:

أولاً: (**الخلاف في الفقه والعقيدة دراسة في أسبابه وآثاره وطرق تحريره**)، لعبد الرحيم خطوف، صدر عن دار الكتب العلمية بلبنان – بيروت، 1440هـ، الموافق 2018م، في 173 صفحة. وموضوع الكتاب يدور حول الإشكال التاريخي للخلاف الذي كان بين الفقهاء والمذاهب الفقهية، وفرق الكلام والعقيدة، وما نتج عن ذلك الخلاف من الصراعات العنيفة التي انحدرت إلى يومنا هذا، ومتمثلة في الأحداث الخلافية المؤلمة، من تعصب للمذهب، وتقليد أعمى، وتفسيق وتكفير، وافتراق وتنازع، وتناحر واقتتال. وجاء الكتاب في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، كالآتي: الفصل التمهيدي: يبين حقائق الخلاف الفقهي والعقدي عند الفقهاء والمتكلمين، ويمهد الكلام عن جذور هذه الأسباب. والفصل الأول: يحاول جمع أسباب الخلاف الفقهي وآثاره. والفصل الثاني: يشمل ثلاثة مظاهر تحولت في التاريخ إلى عقائد، نشب عنها الخلاف العقدي. والفصل الثالث: يقترح مجموعة طرق، من أجل تحرير الخلاف بين فرق ومكونات العمل الإسلامي. وخاتمة أورد فيها النتائج التي منها: أن أهم أسباب الخلاف العقدي المدمر لوحدة المسلمين، هي المفاهيم الخاطئة التي تحولت مع مرور الوقت كأنها عقائد نتج عليها خلاف شديد، ونزاع كبير، واقتتال فظيع بين المسلمين. ومنها: أن من الأسباب العميقة للخلاف العقدي اتباع المتشابه وتأويله، وقد ظهر هذا الاتباع بين الفرق الكلامية حتى أصبحت عندهم (عقيدة) كل فرقة تدعي أنها الفرقة الراسخة في العلم التي يحق لها تأويل الآيات المتشابهات، لهذا وجدنا أغلب العلماء يذمون اتباع المتشابهات، ويركزون على المحكمات، وإن تحرير المتشابه لا يستقر إلا برده إلى المحكم ليفسره، ويمنع تأويله الفاسد.

ثانياً: (**الخلاف والاختلاف في عقائد المسلمين دواعية وتداعياته**)، لعبد الكريم بليل، صدر عن مركز الكتاب الأكاديمي بالأردن، عمان، 2018م، في 222 صفحة.

ثالثاً: (**الشيخ صالح المقبلي، حياته وفكره**)، لأحمد عبد العزيز المليكي، الطبعة الأولى، من اصدارات وزارة الثقافة والسياحة، 2004م. رسالة علمية في الماجستير. و**الدراسة** مقسمة إلى تمهيد وأربعة فصول، تناول في الفصل الأول الحديث عن حياة الإمام المقبلي، والثاني عن آثاره ومكانته العلمية،

والثالث عن فكرة الديني وفي هذا الفصل تطرق إلى نبذة عن دعوته إلى نبذ الخلاف والفرقة الناشئين بين المسلمين، والرابع عن فكرة الفلسفي والكلامي والسياسي، ثم ختم بالخاتمة التي لخص فيها النتائج والتوصيات، فمن النتائج أن الإمام المقبلي ترك التمذهب ونفر منه، ونفر غيره منه، فلم يتقيد بمذهب مخصوص لا في الأصول ولا في الفروع. دعا الإمام المقبلي إلى العودة بالإسلام إلى أصوله الأولى وما كان عليه في زمن الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنه والسلف الصالح قبل ظهور الخلاف والفرق، بعيداً عن الغلوا والتشدد، وحث على تنقيته مما علق به من البدع والضلالات والخرافات والتقاليد والعادات الراكدة والوافدة.

رابعاً: (المقبلي وآراؤه الكلامية) لمحمد عبد الرحيم الزيني، الطبعة الأولى، صادرة من مركز الدراسات والبحوث اليمني، وهو في الأصل بحث قُدم إلى كلية التربية بحجه، جامعة صنعاء عام 1998م للترقية إلى درجة أستاذ مشارك، والكتاب في 160صفحة. والكتاب مقسم إلى بابين، تناول في الباب الأول حياة الإمام المقبلي، والعوامل المؤثرة في ثقافته مثل البيئة والشيوخ الذين تتلمذ عليهم، ورحلاته، وآثاره العلمية ومنهجه فيها. وذكر في الباب الثاني آراء العلامة المقبلي، مقسماً إيه إلى أربعة فصول، فالأول عن الألهيات ومعرفة الله تعالى بالعقل والنقل، وأهم الصفات الإلهية في كتب علم الكلام وعند المقبلي. وفي الفصل الثاني تناول العدل الإلهي ورأي المقبلي. وفي الفصل الثالث تناول الحديث عن المعاد الأخروي، وضرورة البعث، وعذاب القبر والشفاعة، وفي الفصل الرابع ناقش فيه عدة قضايا منها الإيمان عند الإمام المقبلي، وموقفه من الفلسفة والمنطق. وموقفه من الزيدية. واستعرض في نهاية البحث النتائج الذي توصل إليها، ومنها أهمها: استقلالية الإمام المقبلي، ممثلاً في بعده عن التمذهب، ورفضه التقليد، وإيثارة للحق على الآباء والمشايخ.

المبحث الأول: نبذة عن حياة الإمام المقبلي

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ونشأته وطلبه للعلم، ووفاته

أولاً: اسمه ونسبه ولقبه[4]

[4] انظر ترجمته في: البدر الطالع ج1، ص200، وطيب السمر ص261، وفوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر منقولة عن مقدمة كتاب العلم الشامخ ص11، بتحقيق وليد الربيعي، وخلاصة الأثر ج2، ص16، ونشر العرف ج1، ص781، وهجر العلم ومعاقله ج1، ص270، والروض الأغن ج1، ص210، ومعجم المؤلفين ج1، ص835، والتاج المكلل ص381، والأعلام ج3، ص197، ومعجم الأصوليين ج2، ص140، والمجددون في الإسلام ص412، وهداية العارفين ج1، ص424، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص36، 70، 152، 187، 255، وأعلام المؤلفين الزيدية ص491، وصالح المقبلي حياته وفكره ص60، وغيرها.

صالح بن مهدي بن علي بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن أسعد بن منصور المقبلي الربيعي الثلائي الصنعاني المكي. و**لُقب** بـ"ضياء الدين"، ولقب بـ"القاضي" لكونه عالماً وفقيهاً مع أنه لم يتول القضاء[5]. وأما الصنعاني: فنسبة إلى العاصمة صنعاء، وأما المكي: فنسبة إلى مكة المكرمة التي قضى فيها شطراً طويلاً من حياته.

ثانياً: مولده

ولد لإمام صالح المقبلي بقرية "المَقْبَل" من بلاد كوكبان، وإليها نسب اسم "المَقْبَلي"، وكان مولده سنة 1040هـ[6]، وهو الأرجح.

ثالثاً: نشأته وطلبه للعلم وصفاته

❖ **نشأته وطلبه للعلم**

لم تذكر لنا كتب التراجم الكثير عن حياة المقبلي ونشأته الأولى، فقد قال الأمير الصنعاني: "لم يترجم له أحد، وكان حقيقاً أن يكتب في شأنه جزء، فإنه من حجج الله، لكنها خفيت أخباره عنا"، وكذلك لم يتعرض من ترجم للمقبلي لأخبار أسرته، إلا أن المقبلي ذكر أنه نشأ يتيماً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . . .﴾ [الإسراء: 23]: "اللهم اغفر لوالدي وارحمهما، واغفر لي التفريط في حقهما، والحمد لله على العافية وتخفيف التكليف حين لم أدركهما، واسأله التوفيق على برهما"، وقال أيضاً عند تفسيره لسورة الضحى: "اللهم قد كنت يتيماً فآويتني، وضالاً فهديتني، وعائلاً فأغنيتني، فلك الحمد ولك الشكر"[7].

ولم يلبث المقبلي في قريته "المَقْبَل" طويلاً، حيث انتقل إلى مدينة "ثلا" للدراسة بها على أبرز علمائها، كالقاضي مهدي عبد الهادي الحسوسة (ت: 1094هـ)، وهو شيخه في علم الكلام، وكان يذهب إلى "شبام" كل يوم للأخذ عن كبير علمائها العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل وقد انتفع به كثيراً، ويعود إلى ثلا في اليوم نفسه وبينهما نحو 10كلم، مما يدل على نفس عالية وهمة سامية، فأعطاه شيخه بيتاً في شبام، فقرأ عليه وسمع منه عدة كتب منها: "مختصر المنتهى" لابن الحاجب (ت: 646هـ)، و"تيسير الوصول إلى جامع الأصول" لابن الديبع (ت: 944هـ)، وغيرها.

---

[5] أحمد عبد العزيز المليكي: **صالح المقبلي حياته وفكره**، ص61.

[6] وهذا ما ذكره في كتبه، حيث قال في كتابه "**الأبحاث المسددة في مسائل متعددة**" ص366 بتحقيق وليد الربيعي: وكتبت هذا في سنة سبع وتسعين وألف، وأنا من العمر في سبع وخمسين، وذهب إلى هذا الرأي المؤرخ إبراهيم الحوثي، والمؤرخ زبارة، وكحاله.

[7] صالح المقبلي: **الإتحاف لطلبة الكشاف** مخطوط ق242، 535، والمليكي، المقبلي حياته وفكره ص63.

وبعدها رحل إلى صنعاء فأخذ عن كبار علمائها في علوم السنة والتفسير وغيرهما، فقرأ على الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم (ت:1087هـ) كتاب "الفصول اللؤلؤية" لصارم الدين ابن الوزير (ت:914هـ)[8]. وحفظ الأمهات الست وغيرها من دواوين السنة، وبرع في جميع علوم الكتاب والسنة، لكثرة مطالعته لكتب التفاسير والحديث وشروحاتها، وكتب الرجال، وكتب الموضوعات، والتاريخ والسير، وكتب الترغيب والترهيب، وشيء من المعاجم، وكتب المذاهب كافة[9].

ثم رحل إلى مكة في الثالثة والثلاثين من عمره؛ وكان رحيله لأسباب كثيرة، منها: المجاورة لبيت الله، وطلب فضل الله تعالى، ومنها المناظرات التي جرت بينه وبين بعض العلماء في صنعاء التي أوجبت المنافرة، حيث اشتدّ عليه الأذي من قبل بعض المتعصبين، فرحل إلى مكة واستقر بها، وحظي بمنزلة رفيعة عند أشراف مكة، واستوزره الشريف أحمد بن غالب أياماً وزارة مشاورة ومناصحة، وعظم صيته هناك[10]، فقد قال الإمام الصنعاني: "أخبرني بعض علماء الطائف بجلالة شأنه عند علماء الحرمين"[11].

رابعاً: وفاته

عاش الإمام المقبلي رحمه الله حياة علمية قضاها في العلم والتعليم والصبر على البلاء فيهما، واتفقت المصادر على أنه توفي سنة 1108هـ بمكة، وحددها بعضهم بيوم الأحد الثاني من ربيع أول سنة 1108هـ. وفي ترجمة ملحقة بكتابه "المنار في المختار من جواهر البحر الزخار" أن وفاته بمكة في اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر من ربيع الأول سنة 1108هـ[12].

المطلب الثاني: شيوخة، وتلاميذته

أولاً: شيوخه

لقد تلقى المقبلي العلم على يد علماء بارزين في مختلف العلوم في اليمن ومكة، وقد ذكر بعض شيوخه في مواضع عديدة من مؤلفاته، وأثنى عليهم. نذكر هنا أبرز شيوخه الذين ذكرتهم المصادر التاريخية[13]:

---

[8] القاضي إسماعيل بن علي الأكوع (ت: 2008م): **أئمة العلم المجتهدون في اليمن**، ص163.

[9] المقبلي، **المنار في المختار من جواهر البحر الزخار**، ج1، ص61، 62.

[10] القاضي إسماعيل الأكوع: **أئمة العلم المجتهدون في اليمن**، ص157. نقلاً عن الإمام ابن الأمير الصنعاني.

[11] المليكي، **صالح المقبلي حياته وفكره**، ص147.

[12] القاضي المؤرخ إسماعيل الأكوع: **هجر العلم ومعاقله في اليمن**، ج1، ص277، والمليكي: **صالح المقبلي حياته وفكره** ص106.

[13] المقبلي، **العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ**، وزوائد الأرواح النوافخ، تحقيق: وليد عبد الرحمن الربيعي، ص67، و366، 381. والمقبلي: **الأبحاث المسددة في فنون متعددة**، عناية الوليد الربيعي، ص688، والمقبلي، **المنار في المختار** ج2، ص102. ويحيى بن الحسين: **بهجة الزمن** ج2، ص397، والأكوع: **هجر العلم** ج1، ص269، ج2، ص1015. والحبشي: **مصادر الفكر الإسلامي**، ص152. والزركلي: **الأعلام** ج2، ص182. ملحق **البدر الطالع** ص48، 146.

1. محمد بن إبراهيم بن المفضل بن إبراهيم بن علي بن يحيى شرف الدين (ت: 1085هـ).
2. القاضي مهدي بن عبد الهادي بن أحمد الثلائي المعروف بالحسوسة (ت: 1094هـ).
3. القاضي الحسن بن أحمد صالح اليوسفي الحيمي (ت: 1071هـ).
4. الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم (ت: 1087هـ).
5. العلامة عز الدين بن دريب بن مطهر بن دريب وهاس (ت: 1075هـ).
6. إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي (ت: 1101هـ).

ثانياً: تلاميذه

تتلمذ على يد العلامة المقبلي العديد من طلاب العلم، سواء في اليمن أو في مكة، ومن أشهرهم[14]:

1) القاضي محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي الشبامي (ت: 1115هـ).
2) أحمد بن عبد الهادي المسوري الصنعاني (ت: 1129هـ).
3) إسحاق بن محمد بن قاسم العبدي الصعدي (ت: 1115هـ).
4) عبد القادر بن علي البدري الثلائي (ت: 1106هـ).
5) أحمد بن عبد القادر الورد (ت: 1160هـ).
6) محمد بن موسى قودو تلينسكي الدغستاني (ت: 1129هـ).

وهناك تلاميذ آخرون للمقبلي ذُكروا في بطون مؤلفاته بدون أسماء حيث قال: "جاءنا رجل من أهل الجزائر، وله دربة في علم الكلام، ومشارفة في غيره، فقال لي: جئتك للحديث...، فقرأ عليَّ "القريب" في علم الحديث، وبعض "شرح العمدة" لابن دقيق العيد"، وذكَر أيضاً أن بعض أشراف مكة تتلمذ عليه فقال: "ولقد سألني بعض أشراف مكة، وله نوع طلب، وكان يقرأ عندي..."[15]. وكان للمقبلي بنت اسمها زينب، ولعلها تتلمذت على يد والدها، فقد وصفها الإمام الأمير الصنعاني: "أنها كانت عالمة فاضلة صالحة"، وأنها "أوقفتنا لما دخلنا مكة سنة 1124هـ على ("الأبحاث المسددة) من مؤلفات والدها بخطها"[16].

المطلب الثالث: مؤلفاته ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه

أولاً: مؤلفاته وآثاره العلمية

---

[14] الشوكاني: **البدر الطالع** ج1، ص90، 201،257. والمؤرخ زبارة: **نشر العرف** ج1، ص159، ج3، ص370. والأكوع: **هجر العلم** ج1، ص275، 278، 280، وج2، ص1017، 1018، وج3، ص279، 1426. والحبشي: **مصادر الفكر الإسلامي**، ص348. **والتاج المكلل** ص355، والزركلي: **الأعلام** ج6، ص90. والمليكي: **المقبلي حياته وفكره** ص89، 95.

[15] المقبلي، **الأبحاث المسددة في مسائل متعددة** ص63. **والمنار في المختار** ج2، ص156.

[16] المليكي: **المقبلي حياته وفكره** ص97.

اتسمت مؤلفات المقبلي بالقلة، ولكنها تميزت بالجودة، وشملت غالب فنون العلم، وحظيت بالقبول والاستحسان والثناء من قبل كثير من العلماء سواء المعاصرين له أو المتأخرين عنه، قال الإمام الشوكاني واصفاً مؤلفات المقبلي بقوله: "وله مؤلفات مقبولة، كلها عند العلماء محبوبة إليهم، متنافسون فيها، ويحتجون بترجيحاته وهو حقيق بذلك، وفي عبارته قوة وفصاحة وسلاسة تعشقها الأسماع، وتلتذ بها القلوب، ولكلامه وقع في الأذهان قلّ أن يمعن في مطالعته من له فهم فيبقى على قيد التقليد بعد ذلك، وإذا رأى كلاماً متهافتاً مزقه بعبارة عذبة حلوة"[17]. وسأكتفي بذكرها كما أوردها الدكتور أحمد المليكي الذي قام باستقصاء مؤلفات المقبلي[18]، والباحث عبد الله الحبشي[19]، نذكرها هنا مرتبة على حروف المعجم، المخطوط منها والمطبوع:

1) الأبحاث المسددة في فنون متعددة.
2) أبحاث بلاغية في أقوال الخطيب القزويني.
3) الإتحاف لطلبة الكشاف.
4) الأرواح النوافح لآثار إيثار الآباء و المشايخ. ويسمى أيضًا: زوائد العلم الشامخ.
5) بحث في التعبد بشرع من قبلنا. (خ): تفرد بذكره الباحث عبد الله الحبشي.
6) بحث في حديث افتراق الأمة. (خ).
7) حبّ الغمام على بلوغ المرام. (خ).
8) العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء و المشايخ.
9) فتوى في الباطنية الإسماعيلية من أهل همدان.
10) المصابيح السافرة في الأحاديث المتواترة.
11) المنار في المختار من جواهر البحر الزخار.
12) نجاح الطالب لمختصر المنتهى لابن الحاجب.

ثانياً: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه

سبق لنا ذكر شيوخ المقبلي الذين نهل منهم، واستقى من أفكارهم وآرائهم، مما جعل المقبلي من العلماء المجتهدين الذين كان له تأثير في عصره، وما بعد عصره. وتظهر اجتهاداته بارزة في كتابه "المنار في المختار من جواهر البحر الزخار"، الذي حرر فيه اجتهاداته وفق الدليل، وسلك فيه مسلك الإنصاف، وعده العلماء ممن بلغ رتبة الاجتهاد، وهي منزلة لا يبلغها كل أحد، فتبوأ مكانة رفيعة، ومنزلة سامقة بين

---

[17] الشوكاني، **البدر الطالع** ج1، ص200.
[18] المليكي: **المقبلي حياته وفكره** ص116142.
[19] الحبشي، **مصارد الفكر الإسلامي في اليمن** 36، 70، 152، 187، 255.

علماء عصره، والعصور التي جاءت بعده[20]، فأثنوا عليه وعلى مؤلفاته. وهنا مقتطفات من ثناء وأقوال أولئك العلماء المعاصرين له أو اللاحقين له:

– **مصطفى فتح الله الحموي** (ت: 1123هـ) المعاصر للمقبلي: وصفه في كتابه (فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر) بقوله: "صالح بن مهدي المقبلي الكوكباني نزيل مكة، طود علم راسخ، وأمير معارف تسير أمراء المعارف تحت علمه الشامخ"[21].

– **الإمام الأمير الصنعاني** (ت: 1182هـ): قال عنه: "هو الشيخ الإمام العلامة...المجتهد المطلق الذي فاق الأقران، بل زاحم الأوائل من العلماء الأعيان". إلى أن قال: "فبرع في الفنون جميعاً، وراجع علماء اليمن الأعيان، وله مواقف عدة، تنزه عن التقليد، ونبذ قلادته من عنقه، مشاراً إليه بالبنان..."، ووصفه بأنه: "واسع الاطلاع، كامل الذكاء، رصين المباحث، متين النقل، أحسن الناظرين إنصافاً، وأقلهم في بحثه اعتسافاً"[22].

– **شيخ الإسلام الإمام الشوكاني** (ت: 1250هـ): وصفه بقوله: "وهو ممن برع في جميع علوم الكتاب والسنة، وحقق الأصولين والعربية والمعاني والبيان والحديث والتفسير، وفاق في جميع ذلك"[23].

– **القاضي المؤرخ إسماعيل بن على الأكوع** (ت: 1429هـ): وصفه بأنه "علامةٌ محقق، مبرزٌ في فنون من العلم كثيرة، مجتهدٌ مطلق"[24].

المبحث الثاني: مفهوم الخلاف، وذم الخلاف

المطلب الأول: مفهوم الخلاف والمفاسد

أولاً: مفهوم الخلاف

الخلاف لغةً: مصدر خالف، والاختلاف مصدر اختلف، والخلاف هو: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً، وتخالف الأمران واختلفا، لم يتفقا، وكل ما لم يتساوَ فقد تخالف واختلف، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ... ﴾ [الأنعام: 141][25].

---

[20] الشوكاني: **البدر الطالع** ج1، ص200.

[21] مقدمة كتاب **الأبحاث المسددة**، عناية القاضي الإرياني ص9، نقلاً عن فوائد الارتحال ونتائج السفر، مخطوط.

[22] الأكوع، **المصدر السابق** ص157، والمليكي: **المقبلي حياته وفكره** ص146.

[23] الشوكاني، **البدر الطالع** ج1، ص200.

[24] الأكوع: **هجر العلم** ج1، ص170.

والخلاف والاختلاف في اللغة: ضد الاتفاق، وهو أعم من الضد، قال الراغب الأصفهاني: "الخلاف: أعم من الضد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين"[26].

فمعنى الخلاف والاختلاف هو المضادة والمعارضة وعدم المماثلة، وهذا المعنى هو الذي جاء في نصوص القرآن الكريم[27].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "ولفظ الاختلاف في القرآن يراد به التضاد والتعارض، لا يراد به مجرد عدم التماثل، كما هو اصطلاح كثير من النظار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِف﴾ [الذاريات: 8]، وقوله: ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة: 253]"[28].

الخلاف في الاصطلاح: الاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حالهِ أو قولهِ، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع، استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ﴾[مريم: 37]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِين﴾ [هود: 118][29]. وعليه فيكون الخلاف والاختلاف في الاصطلاح هو: "أن يذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر"[30]. أو هو: "منازعة تجري بين المتعارضين؛ لتحقيق حق أو لإبطال باطل"[31].

والمسائل الخلافية في الأحكام الشرعية هي: "المسائل الفقهية التي لم يتفق عليها من يعتد بخلافه من العلماء"[32].

ويمكن القول بأن الخلاف والاختلاف يراد به مطلق المغايرة، في القول، أو الرأي، أو الحالة، أو الموقف. وقد فرق بعض العلماء بين الخلاف والاختلاف في الاصطلاح، من أربعة وجوه ذكرها أبو البقاء الكفوي في كلياته[33]، وهي أن:

---

[25] ابن منظور: **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط1، د.ت)، ج9، ص82.

[26] الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، ص294.

[27] عبد الوهاب بن محمد الحميقاني: **الخلاف. مفهومه، وحكمه، وأنواعه**، موقع الإسلام اليوم.

[28] أبو العباس أحمد بن تيمية: **مجموع الفتاوى**، ج13، ص19-20.

[29] الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، ص294.

[30] الفيومي، أحمد بن محمد: **المصباح المنير في غريب شرح الوجيز**، ص179.

[31] الجرجاني، علي بن محمد: **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ص135.

[32] محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي: **معجم لغة الفقهاء**، ص198.

1) الاختلاف: ما اتحد فيه القصد، واختلف في الوصول إليه، و(الخلاف): يختلف فيه القصد مع الطريق الموصل إليه.
2) الاختلاف: ما يستند إلى دليل، بينما (الخلاف): لا يستند إلى دليل[34].
3) الاختلاف: من آثار الرحمة، بينما (الخلاف): من آثار البدعة.
4) الاختلاف: لو حكم به القاضي لا يجوز فسخه من غيره، بينما (الخلاف): يجوز فسخه.

وخلاصة قوله: إنه إذا جرى الخلاف فيما يسوغ سمي اختلافاً، وإن جرى فيما لا يسوغ سمي خلافاً.

والتفرقة بين الخلاف والاختلاف بهذا الاصطلاح الذي ذكره أبو البقاء الكفوي وغيره، لا تستند إلى دليل لغوي، ولا إلى اصطلاح فقهي. فالخلاف والاختلاف في اللغة ضد الاتفاق، فهما بمعنى واحد، ومادتهما واحدة. قال المناوي (ت: 1031هـ) رحمه الله: "الاختلاف افتعال من الخلف، وهو ما يقع من افتراق بعد اجتماع في أمر من الأمور"[35].

ثانياً: تعريف مفاسد (مفسدة)

في اللغة: أصل الكمة مأخوذة من مادة (فَسَدَ). والمفاسد جمع، ومفردها مَفْسَدَةٌ، وهي ضد المصلحة، و(المفسدة): الضرر، أو ما يؤدي إلى الفساد، يقال: هذا الأمر مفسدة لكذا أي: فيه فساد، ويقال: أدت مفاسد الحكم إلى قيام الثورة، والإسراف في اللهو مفسدة للأخلاق، قال أبو العتاهية:
إن الشباب والفراغ والجده ... مفسدة للعقل، أي مفسده[36].

ومنه الاستفساد: خلاف الاستصلاح. وتفاسد القوم تدابروا وقطعوا الأرحام[37].

في الاصطلاح: عرف الطاهر بن عاشور المفسدة بقوله: "وأما المفسدة فهي ما قابل المصلحة. وهي وصف للفعل يحصل به الفساد؛ أي الضُّر دائماً غالباً للجمهور أو الآحاد"[38].

المطلب الثاني: ذم الخلاف

---

[33] الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: **الكليات**، ص61.
[34] ابن عابدين على: **الدر المختار**، ج4، ص331.
[35] المناوي، عبد الرؤوف: **فيض القدير**، ج1، ص209.
[36] انظر: الذهبي (ت: 748هـ): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج5، ص486.
[37] ابن منظور: **لسان العرب**، ج3، ص336، وأحمد مختار: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج3، ص1708.
[38] محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ): **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ج3، ص201.

ثبت ذم التفرق والاختلاف في مواضع من الكتاب العزيز، ففي القرآن ذم الله تعالى الاختلاف ونهى عنه أشد النهي، كم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159]. وجاء في السُّنة النهي عن التفرق والافتراق، فقد كان الرسول ﷺ ينهى عن الفرقة، ويرشد إلى الاجتماع، ويذم المتفرقين في الدين، فمن أقواله عليه الصلاة والسلام في الحديث المروي عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[39]. وروي عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة»[40]. قال الإمام النووي: "وأما قوله ﷺ: «ولا تفرقوا» فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتألف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام"[41].

فنهى الله سبحانه وتعالى ونهى رسوله ﷺ عن الفرقة بكل أحوالها، والتي تُفرق بين المسلمين وتضعفهم وتشتتهم، قال الله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا... ﴾ [آل عمران: 103]. وضرب الله تعالى لنا من الأمثلة عن اختلاف الأمم السابقة وسبب اختلافهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم﴾ [آل عمران: 102–105]، وهذا الاختلاف في الدين هو الاختلاف الذي يكون به تضليل بعضهم بعضاً، ومعاداة بعضهم لبعض، ثم بعد ذلك يكون القتال وتزيد شدة التفرق والاختلاف.

قال الإمام الشوكاني (ت: 1250هـ): "قيل: وهذا النهي عن التفرق والاختلاف يختص بالمسائل الأصولية، وأما المسائل الفرعية الاجتهادية، فالاختلاف فيها جائز، وما زال الصحابة فمن بعدهم من التابعين وتابعيهم مختلفين في أحكام الحوادث، وفيه نظر؛ فإنه ما زال في تلك العصور المنكر للاختلاف موجوداً، وتخصيص بعض مسائل الدين بجواز الاختلاف فيها دون البعض الآخر، ليس بصواب، فالمسائل الشرعية متساوية الأقدام في انتسابها إلى الشرع"[42].

---

[39] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، حديث رقم (1715)، ج3، ص1340.

[40] أخرجه الترمذي، كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة برقم (2165)، ج4، ص465، 466.

[41] النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم**، ج12، ص11.

[42] محمد بن علي الشوكاني: **فتح القدير**، ج1، ص432.

وقد ندد الإمام المقبلي بالخلاف القائم بين المسلمين، فقال: "يا أيها الإخوان، ويا عصابة الإيمان، ما الحامل لكم على السعي في الفرقة بين أمة محمد ﷺ؟ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159]. أما رأيتم الله سبحانه شحن كتابه العزيز يتلو عليكم ما فعله بنو إسرائيل. وينعى عليهم ذلك ويعظمه! أفهمتم من ذلك أنه يقول: افعلوا كفعلهم؟ اللهم إنا نبرأُ إليك مما فعله المفرقون، ونسألك السلامة، وأن تعظم الإسلام وأهله في قلوبنا... ونعوذ بك من هذه الدعاوي التي تدعيها هذه الفرق، ويصنف فيها هؤلاء المصنفون، يحكمون على عصابة الإسلام –صانهم الله تعالى– بالهلاك، ويستثنون نفوسهم ومن وافقهم، ويحكمون لنفوسهم بأنهم هم الفرقة الناجية، ونشكوا إليك هذه المصيبة التي عمَت، والداهية التي اطلخمت..."[43].

وذكر الإمام المقبلي أن من مسببات الخلاف الذي ذمه الله **البغي**، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ...﴾ [الشورى: 14]. فهذه الآية وما جاء بمعناها من الآيات، وإن كانت في أهل الكتاب، فقد جاء في السنة النبوية ما يدل على أن هذه الأمة ستتبع سنن من كان قبلها[44]، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا شبرا وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»[45]. وأيضاً من مسببات الخلاف التي ذكرها الإمام المقبلي النظر في شيء، النظر فيه تكلف ما لا يعني، وقد تمم رسول الله ﷺ فنهى عن مظان الخلاف وحذّر منها كالجدل في القدر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ... ﴾ [المائدة: 101]، وقال رسول الله ﷺ: «اتركوني ما تركتكم، فإذا حدثتكم فخذوا عني، فإنما هلك من كان من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»[46]،[47].

---

[43] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص443.

[44] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص447.

[45] أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (7320)، ج4، ص169، والإمام مسلم في **صحيحه**، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، حديث رقم (2669)، ج4، ص2054.

[46] الترمذي، محمد بن عيسى: **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، حديث رقم (2679)، ج5، ص47. وقال هذا حديث حسن.

[47] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص448.

والاختلاف إما أن يكون في الأقوال، كاختلاف الفقهاء الذين يتكلمون في مسائل العلم، ولا يدعون إلى أقوال مبتدعة، فهؤلاء أهل اجتهاد، إذا أخطأوا فخطأهم مغفور، وهم مثابون على اجتهادهم. وإما أن يكون الاختلاف في القول والعمل، غير أن الأقوال مبنية على تأويل فاسد، اتباعاً للهوى، ويدعون إليها، ويحاربون عليها، ويوالون ويعادون فيها، كفعل الخوارج، والروافض، والمعتزلة، ونحوهم، ويدخل في ذلك من يقاتل لأجل الملك والدنيا والرئاسة، فهؤلاء ما بين معتد ظالم أو مفرط ضال أو عابد لهواه وشهوته، فهؤلاء هم أهل الضلال، والخذلان، وهم الذين توجه إليهم الذم في الكتاب والسنة[48].

وأهل الإسلام هم أهل الرحمة الإلهية، المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ...﴾ [هود: 118، 119]، خصهم بالرحمة المتضمنة لنجاتهم من الاختلاف المضل، فاختلافهم وإن حصل لا يكون فيه ترك ما أوجب الله، ولا ارتكاب ما حرم الله، وإنما اختلافهم غالباً اختلاف أفهام.

والاختلاف أمر كوني قدري اقتضته حكمة الله تعالى ليكون شاهداً على تفاوت عقول البشر وتفاضل مداركهم وتنوع إدراكاتهم، وأن عقل الإنسان وفكره قاصر عن الوصول إلى ما فيه مصلحته وما يضمن هدايته، عاجز بذاته عن إقامة العدل في حقه وحق غيره لما طُبع عليه الإنسان من حب الذات، وما رُكب فيه من نقص، فكان الاختلاف واقعاً، ووقوعه أمر كوني قدري، أُمرنا أن نتعامل معه بالأمر الشرعي الذي جاء في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 213]. فأخبر سبحانه وتعالى عن اتفاق الناس في الأصل، وأنهم كانوا جماعة متحدة، ثم اختلفوا.

وهذه الآية قد بينت أن الناس لا يستغنون عن الدين الذي شرعه الله لهم على لسان رسله –عليهم الصلاة والسلام–، وأن الأشرار من الناس هم الذين يحملهم البغي على الاختلاف في الحق بعد ظهوره لهم، أما الأخيار منهم فهم الذين اهتدوا بتوفيق الله وتيسيره إلى طريق الخير والصواب[49].

لذلك نبّه عليه الإمام ابن رجب –رحمه الله– فقال: "ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين، وكثر تفرقهم، كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم، وكل منهم يظهر أنه يبغض لله، وقد يكون في نفس الأمر

---

[48] عبد الله بن محمد الغنيمان: **ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة**، ص15.

[49] محمد سيد طنطاوي: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج1، ص456، 462.

معذوراً، وقد لا يكون معذوراً، بل يكون متبعاً لهواه مقصراً في البحث عن معرفة ما يبغض عليه، فإن كثيراً من البغض إنما يقع لمخالفة متبوع يظن أنه لا يقول إلا الحق، وهذا الظن خطأ قطعاً، وإن أريد أنه لا يقول إلا الحق فيما خولف فيه. وهذا الظن قد يخطئ ويصيب. وقد يكون الحامل على الميل إليه مجرّد الهوى والألفة، أو العبادة، وكل هذا يقدح في أن يكون هذا البغض لله. فالواجب على المؤمن أن ينصح لنفسه، ويتحرز في هذا غاية التحرز. وما أشكل منه فلا يدخل نفسه فيه خشية أن يقع فيما نهى عنه من البغض المحرّم..."[50].

المبحث الثالث: مفاسد الخلاف عند الإمام المقبلي

تمهيد

حذر الإمام المقبلي من مفاسد الخلاف والتعصب والتحزب، وأرسل صرخاته الملهوفة في مواضع شتى من مؤلفاته، منددا بالخلاف القائم بين المسلمين، ووصفه بأنه: "عمدة الشَّر ومنشؤه"[51]، و"جماع المفاسد وأسُّها"[52]، "وأنه مصيبة في الدين، بل هو عذاب هذه الأمة، كما بينه سبحانه وتعالى في في كتابه أوضح نبيين، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65]"[53].

ورأى الإمام المقبلي أن الخلاف سبب في سفك الدماء، واستحلال الأموال والأعراض، كاللعن، والسَّب، والتكفير، وتناول مثالاً للعن: كسِّب ولعن الرافضة للصحابة رضوان الله عليهم، وعدم قبول روايتهم لردتهم بزعمهم الفاسد ورأيهم الكاسد[54].

ويؤيده الإمام الأمير الصنعاني (ت: 1182هـ) حيث قال: "وهذه هي عقائد الرافضة منذ برزوا إلى اليوم، بل زادت من الضلال والانحراف،...تآمروا على قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه واستطاعوا ذلك،

---

[50] أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي: **جامع العلوم والحكم**، ص330.

[51] المقبلي: **الأبحاث المسددة**، ص651.

[52] المليكي، **المقبلي حياته وفكره** ص229. نقلاً عن **الإتحاف لكلبة الكشاف** للمقبلي، (مخطوط)، ق134 أ.

[53] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص597. والمليكي، **المقبلي حياته وفكره** ص229.

[54] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص468-469، 498.

وبقتله اندلعت الخلافات، وتفرقت الأمة، بل وسلَّ بعضهم على بعض السيوف، وسالت الدماء الطاهرة الزكية من الجميع، وقُتِل من قُتل، واستمر التفرق ظاهراً وواضحاً فيما بعد إلى اليوم"[55].

ويقول الإمام الشوكاني عن الرافضة وسبهم للصحابة ﷺ: "ولم أجد ملة من الملل ولا فرقة من الفرق الإسلامية أشد بهتا وأعظم كذباً وأكثر افتراءً من الرافضة، فإنهم لا يبالون بما يقولون من الزور كائنا من كان.. فمن تلاعب به الشيطان ولم يزل ينقله من درجة إلى درجة حتى وصل به إلى الرفض البحت كما تشاهده في جماعة فلا مطمع في كفه عن الطعن والثلب لخير القرون فضلا عن أهل عصره وليس يفلح من كان هكذا ولا يرجع إلى حق ولا ينزع عن باطل فإن تظاهر بالإنصاف والإقلاع عن البدعة والتلبس بالسنة فالغالب أن ذلك يكون لجلب مصلحة له دنيوية أو دفع مفسدة يخشى ضررها"[56].

ونأكد قول الإمام الأمير الصنعاني والشوكاني أن الرافضة مستمرون في طغيانهم وتكفيرهم وقتلهم لأهل السنة، وحربهم الخبيثة على العقيدة الصحيحة والسُّنة المطهرة والصحابة الأبرار ﷺ.

ومفاسد الخلاف لا تنقضي، وشرُّها إذا استحال إلى التعصب للمذاهب والآراء بالباطل، واتباع للظن وما تهوى الأنفس، وما يتبع ذلك من تباغض وتدابر، بل سباب وتلاعن.

المطلب الأول: المفاسد التي ذكرها الإمام المقبلي

تناول المقبلي صور من المفاسد التي نتجت عن الخلاف، وكان لها أضرار، فقال موضحاً: "واعلم أن الخلاف والتعصب والتحزب، هو الذي حمل سيوف بعض المسلمين على بعض، وحلل دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وحرف الكتاب والسُّنة، ثم صيَّرهما كالعدم بسد باب الاجتهاد والنظر، وسد باب الجهاد لأعداء الإسلام، وسد باب التفقه في الدين، وضيع الجمعة والجماعة إلى غير ذلك من المفاسد التي لا تحصى..."[57]. وقال أيضًا: "ومن مفاسد الخلاف أخذ الملوك هذه الأموال سحتاً بيّناً لا يستطيع الآن أن يتكلم فيها أحد، يأخذونها باسم العشور وما شاءوا من الأسماء...."، وأرجع سبب ذلك إلى تفرق العلماء وكتمانهم لما أمرهم الله به من البيان لأمور الشريعة، فهم —العلماء– "لما افترقوا في العقائد المبتدعة... ثم ترتب على الافتراق تقويم كل لعمود الشقاق، وصار كل منهم إنما يعتز بمن مال إليه من الملوك على خصمه[58].

وهذه المفاسد كالآتي:

---

[55] ابن الأمير الصنعاني: **حديث افتراق أمتي**، تحقيق: سعد بن عبد الله السعدان، ص38.

[56] الشوكاني: **أدب الطلب ومنتهى الأدب**، ص87، 88.

[57] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص467-469.

[58] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص468-469، 498.

أولاً: سد باب الجهاد لأعداء الإسلام مع أنه فرض كفاية[59]، وهو سنام الإسلام ولا انقطاع له إلى يوم الدين، ولما استحكمت العداوة بين فرق المسلمين تركوا الكفار وصرفوا همهم في حرب بعضهم بعضاً، وإنما استحكم ذلك من حين استحكم التفرق وصاروا أجناداً مجندة. وليتهم- أي المسلمين- تصالحوا على أن يأمن بعضهم بعضاً، ويشتغل كل منهم بمن يليه من الكفار، ويستعين بعضهم ببعض لكانت يدهم واحدة[60].

إذا كان الإمام المقبلي يقول هذا في عصره فكيف لو رأى حال الأمة بعد عصره إلى الآن وما حل بها من تمزيق وتقسيم. فقد قُسمت البلاد الإسلامية واحتل بعضها وطُرد ساكنها.

ولم تقف مفاسد الخلاف عند ترك جهاد الطلب الذي هو فرض كفاية، بل تُرك جهاد الدفع[61] وهو فرض عين بإتفاق العلماء، ولم يقف الأمر عند هذا بل تعداه إلى أن يستعين مسلم بكافر ضد أخيه المسلم في العقيدة لاختلاف جغرافي على أرض حدها الأعداء (اتفاقية سايكس بيكو) لتفريق المسلمين إلى دويلات تحكمها حدود ومعالم، يكون الولاء والبراء لها، والجهاد من أجلها.

ثانياً: سد باب التفقه في الدين ومعرفة الكتاب والسنة، ذلك لأن منبع الخلاف مصحوباً بالتعصب، فتجد كلاً يتعصب لقولٍ لا يتعداه إلى غيره، يقدمه لأتباعه على أنه الدين الخالص، فيحرمهم من حقيقة الفقه ويحول بينهم وبين تعلمهم الكتاب والسنة، "حتى صار المتشوق لذلك متفقاً على جنونه وخذلانه عندهم، ويصرحون أن الاجتهاد قد استحال منذ زمان، وإنما دس لهم الشيطان ذلك لأنه لو بقي الباب

---

[59] ذهب بعض العلماء إلى أن الجهاد فرض عين على الأفراد، وحكى هذا عن سعيد بن المسيب استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ...﴾ [التوبة: آية 39] ثم قال: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: آية 41]. وبقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ...﴾ [البقرة: آية 216]. وبقوله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق». رواه مسلم في كتاب الإمارة، حديث رقم (1910)، ج3، ص1517، ورواه أبو داود في كتاب الجهاد حديث (2502)، ج4، ص157، وغيرهم. لكن جمهور العلماء على أنه من فروض الكفاية لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً...﴾ [التوبة: آية 122]. قال قوم وعليه الجمهور: إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، مثل صلاة الجنازة، ورد السلام. قال الزهري والأوزاعي: كتب الله الجهاد على الناس غزوا أو قعدوا، فمن غزا فبها ونعمت، ومن قعد فهو عدة إن استعين به أعان وإن استنفر نفر، وإن استغني عنه قعد. انظر: **تفسير البغوي**، ج1، ص274. قال ابن القيم: (التحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب ، وإما باللسان ، وإما بالمال ، وإما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع. انظر: ابن القيم: **زاد المعاد**، ج2، ص66 .

[60] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص515.

[61] يقول الإمام ابن القيم (ت: 751هـ): "وجهاد الدفع أصعب من جهاد الطلب، فإن جهاد الدفع يشبه باب دفع الصائل ولهذا أبيح للمظلوم أن يدفع عن نفسه... فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب وأعم وجوباً". انظر كتابه **الفروسية**، ص187-188.

مفتوحاً لوقع لمتأخري المجتهدين أن يوافقوا هذا في مسألة وذلك في أخرى، ويصير لبعضهم أتباع، فينتقض عليهم استقرار المذاهب ويختلط الأمر حتى يعود كما كان في وقت الصحابة ﷺ. ويوضح أن دين الله الكتاب والسنة، والفقيه إنما هو من عرفهما، وكلام الله ورسوله أصح وأوضح، وأجل وأجلى وأشرح"[62].

ثالثاً: ترك الجمعة والجماعة، وهما شعائر الإسلام، ذكرها المقبلي من مفاسد الخلاف، وهو لا يتجنى أو يزايد بل نقل لنا واقعاً مُراً عاينهُ في حياته بمكة بسبب الخلاف ثم التعصب والغلو الذي أدى إلى تعطيل الجُمع والجماعات، فيقول: "**أما الجمعة** فلكثرة التحكم في شرائطها، وإنما هي صلاة من الصلوات أقرب ما يشترط فيها اتحاد الجماعة، لأنها شرعت لاجتماع المسلمين في هذا اليوم". ويبين أن "مقصود ذلك أن الخلاف هو الذي عطل الجمعة، ولم يكن في عصر الصحابة، ومن ذلك غلو الزيدية في شروط الجمعة حتى حرموا حضور صلاة الجمعة في بلد السلطان الذي ليس على شرطهم، وقالوا لا تصح الصلاة ويعيد الظهر، وكذلك اشتراط الأربعين عند الشافعية[63]. هذا في ترك الجمعة.

أما الجماعة فأن أهل المذاهب لا يصلي بعضهم خلف بعض، فكانوا يصلون أربع صلوات في الحرم لكل مذهب إمام يصلي بأهل مذهبه، واصفًا ذلك بقوله: "ولقد كبرت بدعة اخترعوها في المسجد الحرام الذي جعله الله للناس سواء العاكف فيه والباد، فشغلوا بقعًا منه بحجارة عمروها، سموها المقامات، ثم فرقوا جماعة المسلمين يصلون فيها أربع صلوات، هذا ينتظر أن يفرغ هذا ثم يصلي، وقد لا ينتظر فيجمع صلوات في وقت واحد"[64].

وذكر أن هذا نتج عنه مفسدتين: "التفريق بين المسلمين، وحصر المذاهب على الأربعة، ولزوم أن يتمذهب المسلم بأحد المذاهب الأربعة، فينشأ الناشئ من العامة بل المتفقهة وهو يعتقد أنه لا بد من الكون على أحد المذاهب، وإلا لا يتم الإسلام للأنسان"[65].

رابعاً: استحلال الأعراض، ذكر أن استحلال الأموال والأعراض مفسدة نتج عنها اللعن، والسَّب، والتكفير، وسفك الدماء، فذكر أن المراد التنبيه على استحلال أموال المسلمين ودمائهم، ودع عنك ما يقع في وقت الحرب وما عليه الخوارج والروافض من استحلال كل من خالفهم[66].

---

[62] المقبلي: **المصدر السابق**، ص516، 520.

[63] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص526، 527. واشتراط العدد (أربعين) رجلاً في صلاة الجمعة من شروط الصحة عند الشافعية، ولو نقصوا فيها بطلت لاشتراطهم العدد. انظر: أبو الحسن الماوردي (ت: 450هـ): **الإقناع في الفقه الشافعي**، ص51، والخطيب الشربيني (ت: 977هـ): **الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع**، ج1، ص180.

[64] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص546، **والأبحاث المسددة**، ص652.

[65] المقبلي: **المصدر السابق**، ص546.

ومن استحلال الأعراض التكفير، وقد اهتم الإمام المقبلي بمسألة التكفير في جُل مؤلفاته، فقال: أن "التكفير إنما هو بالسمع لا بالعقل"[67]. وقرر أنه "لا يجوز تكفير المسلم إلا بقاطع"[68].

ورد على من كفر بالتأويل أو بالإلزام، ورفض تكفير المسلم بدون أي دليل قاطع، وأن التكفير بدون دليل خطره عظيم، وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة، حيث وقد ابتليت فرق بتكفير المسلمين بدون دليل شرعي، كما هو مذهب الخوارج والشيعة.

فانتقد المعتزلة والزيدية بتكفيرهم بالتأويل، وأن لهم من ذلك الحظ الأكبر والنصيب الأوفر، حيث استحلوا أعراض وأموال المخالفين لهم بحجة أنهم جبرية، وأرضهم أرض خراج، ودارهم دار كفر[69].

وذكر أن الرَّافضة استحلوا أعراض المسلمين بالسّب والتكفير، فهم يسبون ويلعنون الصحابة رضوان الله عليهم، ويرفضون قبول رواية الصحابة لردتهم بزعمهم الفاسد ورأيهم الكاسد[70]. وقال: أن "مذهب الإمامية تكفير من لم يكن على مذهبهم كفراً صريحاً لا تأويلاً. قالوا: لأن الأمة أنكرت ما علم من الدين ضرورة من النص على عليّ وعلى أئمتهم، والزيدية عندهم من جملة الكفار"[71].

وتطرق إلى "أن الأشاعرة أصلوا أنه لا يُكفّر أحد من أهل القبلة، وإنما الكفر البواح، ولا كفر بالتأويل، ثم تجد في تضاعيف كُتبهم المناقضة. وكذلك الماتريديّة في كلام إمامهم الأعظم أن لا يُكفَّر أحد من أهل القبلة، ولم أر التكفير أسهل على أحد ولا أكثر منه في متأخري الحنفية كأنهم يكفرون بكل إلزام ولو في غاية الغموض"[72].

وذم المقبلي ظاهرة التكفير باللوازم عند متأخري الحنفية، فذكر حادثة أنه: "وضع بعض الناس قريبًا من بعض مُتفقِّهتهم نعله، فقال: كفرت لأنك هوَّنت العلماء، وهو تهوين للشريعة ثم للرسول ثم المرسل، ونحو هذا يفعلون في كل شيء، وفعل بعضهم شيئًا من مُنْكرات الدولة، فقال المظلوم: هذا ظلم وحاشى السلطان من الأمر والرضا به، فقال: أنا خادم الدولة المنتمية إلى السلطان، فقد نسبت الظلم إلى السلطان، فهوَّنْتَ ما عظَّمَتْ الشريعة من أمر السلطان فكفرت، فأخذوه وجاءوا به إلى القاضي وحكم

---

[66] المقبلي: **المصدر نفسه** ، ص500.

[67] المقبلي: **المنار في المختار**، ج1، ص118.

[68] المقبلي: **المصدر السابق**، ج2، ص528.

[69] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص500

[70] المقبلي: **المصدر السابق**، ص468. ذيل الأرواح النوافخ.

[71] المقبلي: **العلم الشامخ** ، ص556-557.

[72] المقبلي: **المصدر السابق** ، ص505.

عليه بالردة، ثم جدد إسلامه وفعل ما يترتب على ذلك. وهاتان الحكايتان في مكة عصرنا مجرد مثال، ولا تزال ألسنتهم رطبة بذلك وهو في رسائل المتأخرين وفتاويهم وسائر كتبهم وهي عظيمة هونها عموم الجهل وكساد الإنصاف، ونَفاق النِّفاق والاعتساف..."[73].

خامساً: البدع، عدّها الإمام المقبلي من أعظم مفاسد الخلاف وأصلها، فيقول: "فإنهم –أي أصحاب البدع– لو تحامو الخلاف وخاف الشارد عن الجماعة شروده لبقوا على السنة ولم تتم البدع"[74].

وبين أن الصحابة كانوا حذرين من الابتداع في الدين، فقال: "ولله أصحاب رسول الله ﷺ ما كان أشد حذرهم من الابتداع كيفما كان لا يبالون بما يتخيله المتخيل من الخير فيه، فعن قيس بن أبي حازم، قال: ذُكر لابن مسعود قاصٍ يجلس بالليل، ويقول للناس: قولوا كذا، فقال: (إذا رأيتموه فأخبروني)، قال: فأخبروه، فجاء عبد الله متقنعاً، فقال: (من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا عبد الله بن مسعود، تعلمون أنكم لأهدى من محمد ﷺ وأصحابه، أو أنكم لمتعلقون بذنب ضلالة)، وفي رواية: «لقد جِئتم بِبدعةٍ ظلماء، أو لقد فَضَلْتُمْ أصحاب محمد ﷺ علماً»[75]. وقال أيضاً رضي الله عنه: «من كان مستنا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا، اختارهم الله لصحبة نبيه، لإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[76]"[77].

وذكر أن المبتدع مفارق الجماعة الباقين على السنة[78]، وتطرق لقول الرسول ﷺ «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنا بعدي إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعليكم بالطاعة وإن عبدا حبشيا عضوا عليها بالنواجذ وإنما المؤمن كالجمل الآنف حيث قيد انقاد»[79]. وقول الرسول ﷺ: «من فارق الجماعة شبرا، خلع ربقة

---

[73] المقبلي: **المصدر نفسه**، ص507.

[74] المقبلي: **المصدر نفسه**، ص555.

[75] أخرجه عبد الرزاق الصنعاني (ت:211هـ) في **مصنفه**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، حديث رقم (5409)، ج3، ص221. والطبراني في **معجمه الكبير**، حديث رقم (8629)، ج9، ص125.

[76] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت: 510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**: تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج2، ص518.

[77] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص555.

[78] المقبلي: **المصدر السابق**، ص556.

[79] أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم (17142)، ج28، ص367، وأبو دواد في سننه حديث رقم (4758)، ج7، ص136.

الإسلام من عنقه»[80]. وذكر الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «تركتم على الواضحة, ليلها كنهارها، كونوا على دين الأعراب، والغلمان في الكُتاب»[81].

فالخلاف سبب في ظهور البدع وتمكينها، وذلك لأن اتساع فجوة الخلاف وتشعب مداخله نتج عنها تعصب للرأي وإعراض عن تعاليم الكتاب والسنة، وجهل في معرفة أحكام الشريعة، ومن هنا يبدأ الخلل العملي وتظهر البدع.

ويتضح مما سبق أن مفاسد الخلاف قد تجر إلى مفاسد عظيمة في الدِّين والدُّنيا، ولها آثار مشئومة على الفرد والمجتمع، وتتبعها عواقب سيئة على المسلمين، والتي منها:

- ذهاب قوة المسلمين ووحدتهم، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].
- زيادة الفرق والانقسام بين صفوف المسلمين.
- سهولة إثارة الفتن والخصومات بين المسلمين، وجعلهم فرق متنافرة تقتل بعضها البعض، كالطائفية والحزبية والانتماء إليها، وشدة التمسك بها، وكالدعوة إلى القومية.
- العداوة والبغضاء بين الناس، مما يتولد عنها سفك للدماء المعصومة.
- تمكن أعداء الله في التسلط على المسلمين، وهذا واقع المسلمين الآن.
- تنقيص شريعة الإسلام والاستهزاء بها.
- ردة بعض الناس عن الإسلام، أو الإلحاد.

المطلب الثاني: تحذير الإمام المقبلي من الخلاف والاختلاف

بعد أن ذكرنا مفاسد الخلاف عند الإمام المقبلي، نذكر هنا تحذيره من الخلاف والفرقة، وحرصه على اجتماع كلمة المسلمين، وتوحيد صفهم.

ويمكن جمع معالم تحذير الإمام المقبلي من الخلاف والفرقة فيما يأتي:

---

[80] أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (21561)، ج35، ص445، وابن ماجه في سننه حديث رقم (43)، ج1، ص16، والطبراني في المعجم الكبير حديث رقم (619)، ج18، ص247.

[81] أورده ابن حبان في **الثقات**، ج2، ص239، ورواه الخطيب في **موضح أوهام المجمع والتفريق**، ج1، ص551. وأخرجه رزين كما في جامع الأصول لابن الأثير وسكت عليه. قال ابن الأثير في جامع الأصول: أراد بقوله: دين الأعراب والغلمان الوقوف عند قبول ظاهر الشريعة، واتباعها من غير تفتيش عن الشبه، وتنفير عن قول أهل الزيغ والأهواء، ومثله قوله عليكم بدين العجائز انتهى. انظر: ابن الأثير (ت: 606هـ): **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، رقم (82)، ج1، ص292.

أولاً: تأكيد المقبلي على أن الاختلاف في الدين ضرر

أكد المقبلي أن الخلاف كله شر سواء كان في الأصول أو الفروع، مخالفاً بذلك الذين يستعظمون أمر الخلاف في الأصول ويهونونه في الفروع؛ فإن الدين يصدق على جميع الأحكام، وأن الله سبحانه قد وصى بترك الاختلاف والتفرق في الدين، ولم يرخص في شيء من ذلك، بل جاء النهي عاماً في الكتاب والسنة[82].

وذكر رحمه الله "أن الله سبحانه وتعالى نوه بالاختلاف في الدين، وكرر ذلك في كتابه العزيز تكريراً كثيراً لعلمه سبحانه وتعالى بضرر الاختلاف في الدين، وكم كرر ذلك سبحانه في بني إسرائيل قائلاً: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ...﴾ [الشورى: 14]. ونحوها..."، ويقول مفسراً للآية: "فكأنه ـسبحانه وتعالى- يقول أحذركم مثل فعلهم، مُدلين بالشُبهِ وعدم تبين ذلكم في دينكم، فإنكم إن فعلتموه فعلتموه بعد قيام الحجة عليكم ولا يحملكم عليه إلا البغي لا التدين، وإن مَن أراد الله واتبع رضوانه فإنه يهديه سبل السلام، ويخرجه من الظلمات إلى النور، فصدق الله تعالى ما وجدنا الخلاف إلا في محل قد تبين الحق فيه، وقد تمم رسول الله ﷺ فنهى عن مظان الخلاف وحذر منها كالجدل في القدر، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ...﴾ [المائدة: 101]، وقال رسول الله ﷺ: «اتركوني ما تركتكم، فإذا حدثتكم فخذوا عني، فإنما هلك من كان من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»[83]، وكمل الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه ﷺ فلم يبقى شيء يقربنا إلى الجنة إلا بينهُ لنا، ولا شيء يقربنا إلى النار إلا بينهُ لنا، وما عفا الله عنه وسكت عنه رسول الله ﷺ فلا يريد الله سبحانه أن نبحث عنه بمجرد عقولنا القاصرة، فإنها إنما جعلت لنا آلة في قدر محدود في علم الله، وجاءت الرسل بتتميم ما تتم به النعمة وتؤكد الحجة، فما عدا ذلك فضول يخاف ضرره ولا يُرجى نفعه"[84].

ووضح أن من ضرر الاختلاف العصبية التي ولدت من المناظرات عند الملوك والأمراء، ودعوى كل جانب أنه على الصواب؛ حتى استحكم الشر وصار الناس شيعاً، يولد المولود في قوم فلا يسمع من اللإنصاف شيئاً؛ بل يجد شيعته مطبقين على أن مخالفيهم ليس على شيء.

ثانياً: بيان الإمام المقبلي أن الخلاف فتنة على الأمة وليس رحمة

---

[82] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص545 وما بعدها، والمليكي، **المقبلي حياته وفكره** ص229-230.

[83] الترمذي، محمد بن عيسى: **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، حديث رقم (2679)، ج5، ص47. وقال هذا حديث حسن.

[84] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص447-449.

بيّن المقبلي أن الخلاف من أشد الفتن، فقال: "وأي فتنة أشد من الخلاف بل هو أصل الفتن"[85]. فهو يرى أن الخلاف شر، ويتعجب من القائلين أن الاختلاف رحمة بقوله: "والعجب ممن يقول (الاختلاف رحمة)، مع بيان الكتاب والسنة في غير موضع أنه عذاب وبلاء على هذه الأمة". وبيّن "أن الخلاف مصيبة في الدين، بل هو عذاب هذه الأمة كما بينه سبحانه وتعالى في كتابه أفصح تبيين، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65]، وكذلك بيان السنة في غير موضع أن الخلاف عذاب وبلاء على هذه الأمة"[86].

وذكر أن الحديث المروي (أن الخلاف رحمة) أو (اختلاف أمتي رحمة)[87]، لا أصل له كما قال المحدثون، ولو صح لما قُبل[88]، لأنه صادم القطعيات لأنه ليس معنى الصحيح القطعي، بل ما ذكر أولاً وهو ظني فلا يقابل القطعي، ويكفي في معارضة هذا الحديث بل الدلالة على وضعه قوله ﷺ «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»[89]، والآثار المرفوعة عن النبي ﷺ في هذا الباب كثيرة جداً وكذلك عن الصحابة أيضاً[90].

ثالثاً: اعتمد المقبلي الصحابة مثالاً عملياً في ترك الخلاف والبعد عنه، وسد الذرائع الموصلة إليه

كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على جمع الكلمة، واحتواء الخلاف وتجاوزه، وقد اعتمد الإمام المقبلي الرعيل الأول من الصحابة وتجنبهم الخلاف قدوة يقتداء بهم، بحيث: "أن أكثر إغضائهم كان لصيانة

---

[85] المقبلي: **المصدر السابق**، ص599.

[86] المقبلي: **المصدر نفسه**، ص597.

[87] حديث (اختلاف أمتي رحمه) حديث مشهور ولكنه مع شهرته ليس له إسناد، فكل الذين أخرجوه لم يذكروا له إسنادًا. قال السبكي (ت: 756هـ): هذا الحديث ليس معروفًا عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع، ولا أظن له أصلا إلا أن يكون من كلام الناس بأن يكون أحد قال: اختلاف أمتي رحمه، فأخذه بعض الناس وظنه حديثًا، فجعله من كلام النبوة. انظر: قضاء الأرب في أسئلة حلب، ص263-264. وقد تعاقب الحفاظ على مر العصور فلم يعثروا على إسناد لهذا الحديث. ولذا قال الألباني بعد حكمه على هذا الحديث أنه لا أصل له، قال: "ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند فلم يوفقوا". انظر: **سلسلة الأحاديث الضعيفة** رقم (57)، (الرياض، دار المعارف، ط1، 1992م)، ج1، ص141. ولابن حزم كلام جيد في أن الاختلاف لا يكون رحمه، انظر: **الأحكام في أصول الأحكام**، (القاهرة، دار الحديث، ط1، 1404هـ)، ج5، ص61.

[88] لا يتوهم من ذلك رفض المقبلي لصحيح السنة، بل هو كناية عن اليقين الذي لا يقبل الشك منه ببطلان هذا الحديث وانه موضوع.

[89] الحديث أخرجه القضاعي في **مسند الشهاب**، حديث رقم (15)، ج1، ص44، وأخرجه أيضاً: ابن أبى عاصم فى السنة، حديث رقم (895)، ج2، ص435، قال الألباني: (حسن) حديث رقم: (3109) في صحيح الجامع.

[90] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص597. **والإتحاف لطلبة الكشاف** مخطوط ق143.

أخوة الإسلام وحرمة أهله، لا لتساهل في الخلاف، حتى ربما يقضي أحدهم ويترك رأيه خشية شيوع الخلاف"، كقول علي رضي الله عنه: (اقْضُوا كما كنتم تَقضُون، فإني أكره الاختلاف حتى تكون للناسِ جماعة، أو أموت كما مات أصحابي)[91]. ونقم ابن مسعود على عثمان رضي الله عنهما ترك القصر، وتابعه في الصلاة، فقيل له، فقال: (الخلاف كله شر). فتركوا التنويه بالخلاف محاذرة لتفاقم الشر، لا لأنه مرضي عندهم، بل مراد الله تعالى كما شاع في المتأخرين وانتشر، إنما كان المهم المقدم عند أحدهم أن يكون الناس جماعة أو يموت سالما من الفتنة كما قال علي رضي الله عنه"[92].

ويقول رحمه الله: "وقد قام بمراد الله تعالى في ذلك خير القرون ﷺ، فكانوا يحاذرون الاختلاف أشد المحاذرة ويصرحون بذلك...، ويحاذرون شق عصا المسلمين وكل ما يجر إلى الخلاف..."[93].

ومن هنا نفهم أن الصحابة اختلفوا في بعض المسائل، وعند اختلافهم كانوا يتقيدون بالكتاب والسنة، أو بالإجماع، أو يفصل في الأمور الخليفة. ولم يصل خلافهم إلى التنازع والافتراق في الدين، والخروج على الجماعة. كاختلاف الصحابة رضي الله عنه فيمن يخلف رسول الله ﷺ في إمامة المسلمين، وانتهى النزاع واجتمعت الكلمة على أبي بكر رضي الله عنه. وكاختلافهم في جيش أسامة هل يسيرونه أو لا؟ وانتهى النزاع بعزم خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه على إنفاذه. وكاختلافهم في مانعي الزكاة من أهل الردة، وحسم النزاع أبي بكر رضي الله عنه بعزمه على قتالهم، ورجوع بقية الصحابة الذين كانوا خالفوا إلى قوله وموافقتهم له، وغير ذلك، فقد اختلفوا فيه وكانوا مع هذا أهل مودة وتناصح، وأخوة الإسلام فيما بينهم قائمة[94].

ولما حدثت الفتنة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه اعتزلها أكثرُ الصحابة، وما حضرها منهم إلا القليل، والذين حضروا كانوا مجتهدين، وما كانوا يريدون القتال؛ إنما قصدهم الإصلاح. قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثني أبي قال: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين، قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فما حضرها فيها مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين)[95].

---

[91] أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم (3707)، ج5، ص19، ومسند ابن الجعد الجوهري البغدادي (ت:230هـ)، حديث رقم (1173)، ص181.

[92] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص598.

[93] المقبلي: **المصدر السابق**، ص449.

[94] ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج6، ص245– 250، وص304–305، و311. والشاطبي: **الاعتصام**، ج2، ص734.

[95] أبو بكر أحمد الخَلَّال (ت: 311هـ): **السنة**، ج2، ص446.

فحث الإمام المقبلي رحمه الله على ترك الخلاف اقتداءً بالصحابة ﷺ، فقد تركوا الخلاف خشية أن يتفاقم الشر، فكانوا يكرهون الخلاف ويحذرون منه. وهذا هو منهج العارفين بأمر الله تعالى، المدركين أهمية الجماعة وخطر الخلاف والفرقة، وأنه أصل من أصول الدين وقاعدة من قواعده الكلية.

المطلب الثالث: المنهج الصحيح في النجاة من الخلاف من نظر الإمام المقبلي

لتضييق فجوة الخلاف بين المسلمين والسعي نحو الاتفاق وعدم التفرق، وضح الإمام المقبلي أن النجاة من الخلاف والفُرقةِ هو:

- **التمسك بالكتاب والسُّنة، والرجوع إليهما.**
- **العودة إلى ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم.**

بعد أن تناول الإمام المقبلي الحديث عن مفاسد الخلاف التي لا حصر لها، حث الإمام المقبلي على اتباع التوجيه النبوي في النجاة من الفتن والافتراق، وذكر حديث حذيفة رضي الله عنه إذا قال: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: **نعم**، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير، قال: **نعم وفيه دخن**، قلت: وما دخنه؟ قال: **قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: **نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليه قذفوه فيها**، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: **هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**، قلت: فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة ؟ قال: **فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**"[96].

وقال ﷺ: "**يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس غربلة، ويبقى حثالة من الناس قد مرجت عُهُودهم وأماناتُهم، واختلفوا فكانوا هكذا**" وشبك بين أصابعه، قالوا: فكيف بنا يا رسول الله؟ قال: "**تأخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتدعون أمر عامتكم**"[97].

ويوجه الإمام المقبلي نصيحته بقوله: وهذا الحديث وغيره من الأحاديث نرشدك إلى كيفية العمل عند الاختلاف[98].

---

[96] أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم: (3411)، ج3، ص1320.

[97] الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، حديث رقم: (2671)، ج2، ص171، حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم.

ويستطرد قائلاً: "أن الشر استحكم وصار المسلمون أجناد مجندة، والدعاة على أبواب جهنم من أئمة الضلال من أهل العلم وأهل الأمر...، وكلٍ يدعي أنه متمسك بالسنة، فمنهم من عنده شطر صالح من السنة، ومنهم من بقي له كلمة الإسلام ويغر نفسه بالدعاوى ويستدرج الغافلين، وما زال الأمر متفاوتاً والخير والشر كفتى ميزان، يرتفع هذا عند هذا آونة وينخفض تارة بحسب السيرة، وتارة بحسب العلم،...، هذا يثبت سنة ويعقد بجنبها راية بدعة، والآخر ينكر تلك البدعة فيصيب، ولكن يجره الخصام إلى هدم تلك السنة، فيصبح أيضاً قد أقام سنة وشيد بدعة، فكل منهم قد خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً،...وفي كلٍ خير قد شملهم، وهو كلمة الإسلام، فاعرفها لهم وارع حقها"[99].

والاعتصام بالكتاب والسنة هي وصية الله تعالى ونبيه لأمته، فهما حبل الله المتين ونوره المبين من تمسك بهما أفلح ونجا، ومن زاغ عنهما غوى وتخطفته السُّبل، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ...﴾ [آل عمران: 103]. وقال عليه الصلاة السلام: "**تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه**"[100].

وذكر الإمام المقبلي أن من تحرى الصواب وترك ما يقتضي الاختلاف فإنه يفضي إلى إصابة الحق والاجتماع عليه، وقد جمع الأمرين قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: الآية 153]، وهو بمعنى ولا تتفرقوا"[101].

وأطلق رحمه الله نداء لإخوانه المسلمين، وهي نابعة من قلب محرق على ما عاينه من شتات المسلمين في زمنه وتفرقهم، وقتل بعضهم لبعض، فيبوح بصوته: "يا أيها الإخوان، ويا عصابة الإيمان، ما الحامل لكم على السعي في الفرقة بين أمة محمد ﷺ؟ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾ [الشورى: 13]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159]. أما رأيتم الله سبحانه شحن كتابه العزيز يتلو عليكم ما فعله بنو إسرائيل. وينعى عليهم ذلك ويعظمه! أفهمتم من ذلك أنه يقول: افعلوا كفعلهم؟ اللهم إنا نبرأُ إليك مما فعله المفرقون، ونسألك السلامة، وأن تعظم

---

[98] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص634.

[99] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص634-635.

[100] أخرجه الإمام مالك في **الموطأ**، حديث رقم (1594)، ج2، ص899.

[101] المقبلي: **الإتحاف لطلبة الكشاف** مخطوط ق189.

الإسلام وأهله في قلوبنا... ونعوذ بك من هذه الدعاوي التي تدعيها هذه الفرق، ويصنف فيها هؤلاء المصنفون، يحكمون على عصابة الإسلام –صانهم الله تعالى– بالهلاك..."[102].

الخاتمة:

بعد عرضنا للخلاف ومفاسده ومضاره عند الإمام المقبلي، وحرصه على اجتماع كلمة الأمة المسلمة، والرفق بها، ووحدة صفها، وتحذيره من مضار الفرقة والاختلاف التي تجعل المسلمين لقمة صائغة للأعداء، نخرج ببعض النتائج من هذا البحث.

النتائج:

1) انتشار التعصب للمذهب والتقليد في البيئة التي عاشها الإمام المقبلي.
2) يرى الإمام المقبلي أن الالتزام بمذهب معين وعدم الخروج عليه بدعة، وأن التعصب للمذاهب من أسباب الفرقة والخلاف، لذا تبرأ من الانتساب إلى مذهب معين، واكتفى بالانتساب إلى الإسلام. وبسبب هذا اشتدت عليه المؤذاة وأُتهم بالنصب، فكانت من أهم أسباب هجرته من اليمن إلى مكة المكرمة، حيث قضى فيها بقية عمره.
3) أن من أشد مفاسد الخلاف كما يرى الإمام المقبلي هي: البدع والتعصب، التي بسببها تفرق المسلمين إلى فرق وأحزاب، يضلل بعضهم البعض. فالمتعصب يرى أنه على الحق ويرفض الذي يخالفه ولو كان حقاً، فيقوده تعصبه إلى معاداة من يخالفه في ما يراه ويذهب إليه.
4) أن الخلاف بين المسلمين هو أصل الفتن، وأن الخلاف كله شر.
5) أن من مفاسد الخلاف التي ذكرها الإمام المقبلي سد باب الجهاد، وسد باب التفقه في الدين والاجتهاد، منتقداً الذين يقولون بتعسر الاجتهاد، وانقطاعه، وهو انسداد طريق معرفة الكتاب والسنة، وبانسداده بطل حجيتهما[103].
6) أن تحذير الإمام المقبلي من الخلاف نابع من الواقع الذي عايشه سواء باليمن أو بمكة المكرمة، حيث زادت الفرقة واتسع الخلاف حتى أن الصلاة الواحدة كانت تقام فيها أربع جماعات، لكل مذهب جماعة. فدعا إلى ترك التعصب المذهبي.
7) وجّه الإمام المقبلي النصح في ترك الخلاف اقتداءً بالصحابة ﷺ، فقد تركوا الخلاف خشية أن يتفاقم الشر، فكانوا يكرهون الخلاف ويحذرون منه.

---

[102] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص443.

[103] المقبلي: **العلم الشامخ**، ص162.

8) تميز منهج الإمام المقبلي بالإخلاص والتجرد، والعدل والإنصاف، وإرادة الحق والنصح للمسلمين عامة، وبهذا تظهر حرقته على الدين والمسلمين، وخطر الاختلاف بينهم، ومضار هذه الاختلاف ومفاسده. فكانت دعوته لهم هي الحرص على الألفة وتجنب الفرقة والخلاف.

9) أكد الإمام المقبلي أن النجاة من الخلاف والتفرق يكون بالتمسك بالكتاب والسُّنة، والرجوع إليهما، وبهما يحمي الإنسان نفسه من أي مفسدة من مفاسد الخلاف.

ونختم بقول الرسول ﷺ كما في صحيح البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ، كان إذا قام من الليل يصلي يقول: "**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**"[104].

المصادر والمراجع:

- الأكوع، إسماعيل بن علي: **أئمة العلم المجتهدون في اليمن**، (عمّان: دار البشير، ط1، 2002م).
- الأكوع، إسماعيل بن علي: **هجر العلم ومعاقله في اليمن**، (بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر ودار الفكر، ط1، 1995م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله: **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ).
- الترمذي، محمد بن عيسى: **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م)،
- الجرجاني، علي بن محمد: **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ).
- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري: **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ- 1990م).
- الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، (دمشق: دار القلم، ط2، 1412هـ/1992م).
- ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي: **جامع العلوم والحكم**، (بيروت: دار المعرفة، ط1، 1408هـ).

[104] أخرجه مسلم في **صحيحه**، حديث رقم (770)، ج1، ص534.

- الزركلي، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي: **الأعلام**، (دار العلم للملايين، ط1، 2002م).
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي: **الاعتصام**، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، (السعودية: دار ابن عفان، ط1، 1412هـ - 1992م).
- الشوكاني، محمد بن علي: **أدب الطلب ومنتهى الأرب**، تحقيق: عبد الله السريحي، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1998م).
- الشوكاني، محمد بن علي: **البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع** (الجزء الأول)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ- 1998م). (الجزء الثاني)، (القاهرة: مطبعة السعادة، ط1، 1348هـ).
- الشوكاني، محمد بن علي: **فتح القدير**، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ).
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير: **افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة**، تحقيق: سعد بن عبد الله بن سعد السعدان، (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1415هـ).
- أبو العباس أحمد بن تيمية: **مجموع الفتاوى**، (دار الوفاء، ط3، 1426 هـ/ 2005 م).
- ابن عاشور، محمد الطاهر: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2014م).
- عبد السلام بن عباس الوجية: **أعلام المؤلفين الزيدية**، (صنعاء: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية).
- عبد العزيز المقالح: **قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة**، (بيروت: دار العودة، ط1، 1982م).
- عبد الله الحبشي: **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن**، (بيروت: المكتبة العصرية، 1988م).
- عبد الله بن محمد الغنيمان: **ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة**، (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط17، العدد الخامس والستون، السادس والستون محرم - جماد الأخر، 1405هـ/1985م).
- عبد الوهاب بن محمد الحميقاني: **الخلاف. مفهومه، وحكمه، وأنواعه**، موقع الإسلام اليوم.
- الفيومي، أحمد بن محمد: **المصباح المنير في غريب شرح الوجيز**، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: سمير البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، 1423 هـ/ 2003م).
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: **الكليات**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ/1998م).
- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ).

- محمد سيد طنطاوي: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار نهضة مصر، ط1، 1997م).
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- المقبلي، صالح بن مهدي: **الأبحاث المسددة في فنون متعدده**: عناية الوليد عبد الرحمن الربيعي، (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، ط1، 2007م).
- المقبلي، صالح بن مهدي: **الإتحاف لطلبة الكشاف**، مخطوط، بخط يحيى بن رزق بن أحمد السنهاري، سنة 1377هـ، المكتبة الشرقية رقم 98/1 تفسير، الجامع الكبير بصنعاء.
- المقبلي، صالح بن مهدي: **العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ**، تحقيق: وليد عبد الرحمن الربيعي، (صنعاء: الجيل الجديد ناشرون، ط1، 2009م).
- المقبلي، صالح بن مهدي: **المنار في المختار من جواهر البحر الزخار**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1408هـ- 1988م).
- المليكي، أحمد عبد العزيز: **الشيخ صالح المقبلي حياته وفكرة**، (صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة، ط1، 2004م).
- المناوي، عبد الرؤوف: **فيض القدير**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط1، 1990م).
- ابن الوزير، محمد بن نصر المرتضى اليماني: **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1987م).
- يحيى بن الحسين بن القاسم: **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق: أمة الغفور عبد الرحمن الأمير، (صنعاء: مؤسسة الإمام زيد الثقافية، ط1، 2008م).